روز غريّب : المعلمة الأديبة، الإنسانة

نفيسة الرفاعي

تزورها في « دار يسوع الملك » زوق مصبح[1]، المكان الذي تقيم فيه منذ تركت بيروت، فتستقبلك بوجه يحمل مظاهر الشباب، مع أن صاحبته جاوزت العقد الثامن، وجه يطالعك بنظر ثاقب متبصّر، وابتسامة رقيقة ... تجلس، ينفتح الحديث، فيشدّك الى جليستك حضورها الجذّاب، فتمضي مصغيا ناسيا الوقت. ولا تفرغ من زيارتك الا وقد تزوّدت مادة علم او ادب تحملك على التأمل والتفكير.

هي – حسب ما تقول – امرأة اتخذت التعليم مهنة العمر، وحرصت على ان تضمّ عددا من الهوايات التي اسهمت في توسيع افقها التعليمي، وتنمية اهليتها لوظيفة وضعتها الظروف في طريقها، محاولة الارتقاء بها الى مستوى طموحها، ويردّ اليها بعض ما تفقده من اعتبار.

بلدتها الدامور

ولدت روز غريّب في بلدة الدامور الواقعة على رابية تواجه البحر من الغرب، والجبل والوادي (وادي الدامور) من الشرق.

ماذا تقول لنا في الدامور واهلها ؟

منذ منتصف القرن الماضي عاشت الدامور فترة خصب وبحبوحة، مصدرهما السهل الذي يسقيه نهر كبير، انعمت مياهه

على الداموريين بمواسم الحرير سابقا، وبمواسم الموز والبرتقال لاحقا، هذا السهل، بزراعته الناشطة كان مصدر ارتزاق للالوف من العمال، يقصدونه من القرى المجاورة ليعملوا في الارض مأجورين او مستأجرين.

أهل الدامور اولعوا بالبناء، انفقوا على تشييد بيوتهم اكبر قسم من مداخيل سهلهم. منازلهم حجارتها منحوتة، معظم سطوحها قرميد، ذات قناطر زجاجية مزخرفة، ولها اقبية وعلالي. كانت مبانيها القديمة تمثل الفن اللبناني العربي المتأثر بالفن الروماني، والمباني الأحدث عهداً تعكس تأثير البناء التركي المنقول عن الطراز الاوروبي في القرن التاسع عشر واوائل العشرين.

وتتابع الحديث :

بسبب موقع الدامور بين بلدة « الشويفات » وغيرها من القرى ذات الاكثرية الدّرزية، ومدينة صيدا ذات الاكثرية المسلمة، مارس الداموريّون المسيحيون صيغة العيش المشترك، اذ كانت علاقة وثيقة من الالفة وتبادل المنافع مع جيرانهم دروزا كانوا او مسلمين.

في هذه البيئة التي احتضنتها الطبيعة، والتي نعمت بسهولة العيش والاطمئنان، نشأت روز غريّب.

دراستها في المرحلة الابتدائية حتى الجامعة

في مدرسة راهبات القلبين الاقدسين، في بلدة الدامور، تلّقت روز غريّب دروسها الابتدائية التي اهمها : العربية، الفرنسية، مبادىء الحساب ودروس الاشياء، عدا الشغل اليدوي وآداب المعاشرة (الاتيكيت). وفي بيتها، كانت لها ام وافرة النشاط، حريصة على النظافة والترتيب، تمارس شغل الصنارة والمطالعة. وأب صريح، بعيد عن الخبث والخداع، كما يقال : « قلبه على رأس لسانه ».

كانت الفتاة تصغي الى الاغاني الفولكلورية التي يتغنّى بها والدها، وامها التي تعلمت تلك الاغاني في بيت والديها، حيث كان اخوها يجيد العزف على العود هو واخته الصغرى، فيعقدان مع اصحابهما مجالس العزف والغناء.

في هذا الجوّ تمكنت روز من حفظ جميع الاغاني التي كانت تسمعها من والديها ومن خالها وخالتها، بالاضافة الى الترانيم الدينية والاغاني الفرنسية التي تعلمتها في مدرسة الراهبات. وهذا ما هيأها للقيام فيما بعد، بمحاولات في هذا المجال، لقيت تجاوبا في بيئتها المفتقرة الى اغانٍ للاولاد تراعي مستواهم اللغوي والفكري.

في الخامسة عشرة، انتقلت روز الى المدرسة الاميركانية الداخليّة للبنات في صيدا. هناك درست الانكليزية الى جانب العربية والحساب والعلوم الطبيعية، وتعرفت الى منهج جديد يعنى بالرياضة البدنية والدروس التطبيقية، والنشاطات اللامنهجية (خارج الدروس) التي تمرّن الطالبات على ممارسة العمل القيادي واعداد برامج ثقافية ترفيهية تثير فيهنّ الرغبة في الابتكار وخدمة الآخرين.

بعد حصولها على الشهادة الثانوية الخاصّة بتلك المدرسة، مارست التعليم في مدرسة ابتدائية انشئت في الدامور، ثم طلب منها تدريس العربية مدة سنتين في المدرسة الاميركانية التي منها تخرّجت. بعدها، قدمت طلبا لدخول الكلية الاميركانية للبنات (الجونيور كولدج) في بيروت، فأخضعت لامتحان عام في العربية والانكليزية والتاريخ والرياضيات، واضطرت حينذاك الى درس موضوع الهندسة في عطلة الصيف درسا ذاتيا بدون معلّم، لان هذه المادّة لم تكن في منهج الدروس التي تلقتها في مدرسة صيدا.

في سنة ١٩٣٢ حصلت على شهادة الجونير كولدج ودخلت الجامعة الاميركية للاختصاص في الادب العربي. كان بين اساتذتها انيس فريحة، قسطنطين زريق وانيس المقدسي الذي اشرف على الاطروحة التي قدّمتها سنة ١٩٣٤ للحصول على درجة بكالوريوس آداب، وكان موضوعها « ابن الفارض وتصوفه ».

هنا تجدر الاشارة الى انّ دروسها في الجونير كولدج والجامعة الأميركية لم تنحصر في الادب العربي، بل شملت دروسا عامة في علم النفس، علم الحيوان، تاريخ اوروبا الحديث، تاريخ الاديان، فنّ الكتابة الصحافية، مدخل الى درس الحضارة الفرنسية.

لم تنقطع الطالبة روز عن الدراسة بعد نيل شهادة « بكالوريرس آداب » بل واصلت المطالعة والتثقيف الذاتي اثناء

ممارستها التعليم في *الجونيور كولدج* بين سنة ١٩٣٤ و ١٩٤٥، حين اضطلعت خلال هذه السنوات باعداد اطروحة عنوانها « النقد الجمالي وأثره في النقد العربي » قدمّتها للجامعة الاميركية في بيروت، وبها حصلت على شهادة الماجستير في نهاية ١٩٤٥.

كلمة حول حياتها العاطفية

لماذا اعرضت عن الزواج ؟

طرحت عليها السؤال، فقالت بعد صمت وجيز :

عوامل منعتني عن الزواج ؛ كثيرة ؛ منها اني اعتبرته « غطسة في المجهول » لانّ الزيجات عندنا لا يمهد لها بتعارف كاف بين الفريقين. في الزواج يجب ان نحسب حساب الشؤون الماديّةً، اي قدرة الرجل على تحصيل معاش الاسرة في حال عجز الزوجة عن العمل. هناك شخصية الزوج، مقدار تطوّره الفكري، وتحرّره من تأثير الاهل والمجتمع التقليدي الذي نعيش فيه. هناك امور اخرى يجب اعتبارها كالمؤهلات الصحّية، والخلفية الدينية او المذهبية التي تلعب دورا في تكوين الانسان الشرقي. كل هذا الى جانب القيود التي يفرضها « الرباط المقدس » على حريّة الزوجين واستقلالهما، يدفع بكثيرين وكثيرات من اهل الثقافة العصريّة الى الاعراض عن الزواج.

ثم اخبرتني ناقلة كلام صديقة لها كانت متفوقة في الرياضيات والفيزياء، لكنها لم تتزوّج. قالت تلك الصديقة : « انّ الزواج الذي لا يسبقه تفاهم وانسجام بين الزوجين يؤدي الى عذاب يدوم بدوام العمر، اي الى حالة لا تطاق ».

المعلّمة والمربّية

بعد ان مارست روز غريّب التعليم على مستوى ابتدائي مدّة سنة، انتقلت الى مدرسة صيدا الاميركية حيث وكّل اليها تدريس العربية في الصفوف الثانويّة. وبعد حصولها على شهادة بكالوريوس آداب الجامعة، عادت الى هذه المدرسة عينها سنة ١٩٣٤ حيث استأنفت تدريس العربية في الصفوف ذاتها.

المضيئة. » (ص ١٤٨). في هذا السياق نجد نوعاً من الصراع بين الحقيقة اليومية للشخص في الحرب والصورة التي يشكلها عن جسده : « هذه المرأة .. تتأكد مثلي كل مساء من فراغها. الآن وقد غدونا نحن الاثنين صورة مكانينا، صرنا نتشابه الى حد بعيد .. الزوجان اللذان يفرغان من العالم الخارجي، ويمضيان وقتا طويلا في بيتهما، قبالة بعضهما ... لا بد أن يتشابها ... نتشابه كثيرا حين نقف أمام المرآة. وحين نكون قبالة بعضنا نتشابه كثيرا لأن لا مكان لنا خارجا .. » (ص ١٤٩). انه التصور الذي يكوّنه عن جسده، إنها المعرفة لمرئيات الجسد التي تتبدل بفعل انحسار المكان وبالتالي الحركة فيه. يؤدي الجمود الى التطابق أي الى ضياع الفروق الأساسية التي تمثل القيم الفردية.

يبحث عن حياة غائبة بفتحه في ذاته نوعا من المجال الحواري، فيلعب الخطاب دور الكاشف. كأن الجسد فائض، شيء نصطدم به : « دائما ألسنتنا تثقل في افواهنا، وتعجز شفاهنا - التي تعطلت عن الكلام منذ زمن وارتدت عنه - تعجز شفاهنا عن حملها وردها الى الوراء. تثقل ألسنتنا في أفواهنا وتكبر حتى تفيض عنها وترسل لعابها الفاتر الذي نشف طويلا وابتلعناه دونما جدوى. » (ص ١٥٢) فقدرة الجسد الحركية هي التي تسمح باغناء الادراكات الحسية التي لا بد منها من أجل بناء هيكلية الأنا. أما إلغاء هذه الديناميكية وتثبيت المواقف والسلوك فيؤدي الى التشويش والإضرار بقدرته على التدخل في الواقع.

عندما يتراخى الأمن الوجودي يبقى الجسد اليقين الوحيد للأنسان، مكان اختلافه وانقطاعه مع الآخرين : « كأننا وحدنا الأفراد. وحدنا الخفة المتطايرة فوق سماء المدينة. كأننا غلافها الجوي الوحيد الذي يحفظها من الانجذاب الى الفراغ البعيد. بألسنتنا المتدلية وبؤبؤنا المرتجف، كأننا فرصتهم الوحيدة، الحبل الذي يربط هذه الأرض، يخفف من ثقل الجذب الى العصاب، والى الانفلات عن عقلة الدورة الكاملة التي تبقينا في الأربع والعشرين ساعة من انتظام دورة الكرة. كأننا دواء العصاب والحافظون من جنون التطرف نعدل في حرارته، حتى لا يتجمد فينكسر، أو يحترق فيتطاير هباء. » (ص ١٥٣). في تكرار « كأننا » نفوذ متنامٍ للمؤقت، لا شيء قابل للفهم. جسد عابر، مهاجر لكنه إشارة

الاعتراف بأنه بدونه الواقع غير موجود. كأن الجسد استعارة أو وهم فاعل. يتضح بعد جديد للحقيقة عبر شمولية المشهد، فالصور المعطاة تصبح العالم، تصحح تناقضاته وتسوي تعرجاته وبالتالي تجعله مقروءاً.

لا يرتبط جسد الراوي في الحرب بالحساسية المشتركة لذا فهو لا يلتقي بالآخرين، بل يشعر بأنه على صلة مع مجتمع يسود فيه عدم اليقين. انه يفتقد الرمز الذي هو المادة الأولية للتحالف الاجتماعي، تبعا للتعريف المعطى من قبل ليفي شتراوس، والذي يعطيه معنى وقيمة للتبادل. كما يمثل بنية الهوية الشخصية والاجتماعية.

علاوة على ذلك يدفع الراوي حدود الحياة واضعا بذلك الموت مؤقتا في حالة صدى يجلب غالبا مزيدا من المدى للحياة أكثر مما يجلب حياة للمدى. وفي الوقت نفسه، يصنع من الموت واقعا غير مقبول ويجعل من الصعب الحداد على النفس. من وجهة النظر تلك يبقى المريض حاضرا بشكل غير قابل للاختزال ملتصقا بآلامه، لكن من دون أن يختزل نفسه بحيث لا يكون الابقية باقية. انه سر الأنسان الذي وقع فريسة آلامه. كأن الراوي يجابه تفرق جسده الذي يعكس تفرق الرمز، ليستعيد المعنى.

تفكيك المعنى

حين يلجأ الراوي الى حلوله الشخصية فانه يستهدف ملء الفراغ الرمزي من خلال خلق مصادر خاصة. في هذا السياق تفرد الكاتبة الجزء الأكبر من الرواية لإبراز العلاقة المركبة للراوي بحبيبته، فتتوقف طويلاً عند هذا الحب وعند التحولات الأساسية التي أقامها دون البحث عن الحب الحق، أي هل كان كل واحد منهما يحب حقا الآخر، إنما تساؤلها الجوهري تمحور حول التجربة الأنطولوجية للحب، أي عن أصله وما يحتويه من قوة تشده بجنون نحو موضوعه. كأن الكاتبة ارتأت موضعة إشكالية الحب في إطار العلاقة بالحقيقة. ولذلك كان الأساسي لديها تذكر رؤى النفس، بالأحرى فقط رؤى الراوي لذاته ولحبيبته رغم الحوار المكتوم الذي يجري بينهما.

في سنة ١٩٣٦ رحلت الى العراق حيث عيّنت مدرّسة للعربية في المدرسة الثانوية الحكوميّة للبنات في مدينة الموصل. قضت هناك ثلاث سنوات وامضت في كلية بيروت *(الجونيور كولدج)* ثلاث سنوات في تدريس الادب العربي لصفّي « الفرشمن » و « الصوفومور ». في هذه الفترة قامت اثناء عطل الصيف بنشاطات لا منهجية ترفيهية اذ شاركت في مشاريع تطوّعية لانعاش القرى المتخلفة في لبنان، اضطلعت بتنظيمها كلية بيروت المشار اليها.

بعد ذلك، طلبت منها مديرة المدرسة الثانوية الانجلية الفرنسية في بيروت الاشراف على تدريس العربية في تلك المدرسة بالاضافة الى الاضطلاع بتدريس الصّفين الثاني والاول، واعداد الطالبات لشهادة البكلوريا الفرنسية واللبنانية.

وبما انّ تعليم اللغة يبنى من الاساس، اي من الروضة، وصفوف المرحلة الابتدائية، لاحظت روز غريّب نقصاً فادحا في هذه المرحلة التأسيسية : نقصا في تعليم المفردات التي يحتاج اليها الطفل في حياته اليومية، ونقصا في قدرته على تركيب الجمل البسيطة الصحيحة والمتنوعة الصياغة. كذلك رأت ان كتب القراءة لتدريس الاولاد بحاجة الى تجديد لتناسب اعمارهم، وتتضمّن نصوصا تثير اهتمامهم، وتنمي مواهبهم.

انطلاقا من هذه الاعتبارات خصّصت روز غريّب جانبا واسعا من نتاجها الادبي للاولاد والناشئين ولنا عودة الى هذا الجانب في معرض الحديث عن ادبها.

في نظر روز غريّب، لا يكون التعليم مكتملا ان لم يندمج بالتربية. وتبيّن الفرق بين الاثنين : فالتعليم ينحصر في تلقين المواد المتنوّعة كالحساب واللغة التطبيقية ... ويعتمد على الذاكرة والعقل، اما التربية فتعنى بالانسان كلّه.

في حقل التربية والتعليم، لها مقال قيّم عنوانه « اصلاح التعليم في لبنان »[٢] تظهر فيه انواع النقص في مؤهلات الهيئة التعليميّة عندنا، كذلك تنتقد كتب التدريس، خصوصاً كتب اللغة العربية (من قراءة وقواعد) وكتب التاريخ والجغرافيا.

ثم تتناول بالنقد مدارسنا بفئاتها المتنوعة، سواء كانت فرنسيّة، اميركية، خاصة (بين طائفية واهلية) او حكوميّة. فتذكر

عيوب كل نوع من هذه المدارس، مشيرة الى العقبات التي تواجهها في بناء وحدة الشعب التي هي دعامة الاستقلال. وتخلص الى القول :

« اليس على اولي الامر ان ينظروا بأسرع ما يمكن في مشاكل هذه المدارس، وما يجب اصلاحه فيها، ثم ان يحددوا مدى تصرّفها في شؤون التعليم ومقدار تقيّدها بالمناهج الرسميّة ؟ »

بفضل جهودها في حقل التعليم، حظيت روز غريّب بتقدير تلميذاتها اللواتي تمكنت كاتبة هذا المقال من الاتصال ببعضهنّ.

تقول احداهنّ :

روز غريّب حبّبت اليّ العربي. كان مستوى اللغة العربية في مدرستنا ضعيفًا جدا. رغم ذلك، حين لاقيتها في الصفوف الثانوية تحسّنت لغتي كثيرا. كانت تشجّعني بقولها انّ افكاري حسنة، وبامكاني تجاوز ركاكة الاسلوب.

وتضيف :

في ذلك الحين، كانت بلادنا لا تزال متأثرة بالانتداب الفرنسي، فشربتني ورفاقي حبّ الوطن، حتى ان خدمة بلادنا بقيت معنا طوال حياتنا. والشيء المهمّ الذي علّمتني اياّه، هو انّ استقلال المرأة ينبع من استقلالها الاقتصادي. لذلك يجب ان يكون لكل امرأة مهنة او عمل تعيش منه. هذه الفكرة استطاعت ان ترّسخها عندي وعند رفيقاتي اللواتي عملن على تنفيذها بنجاح، فاليوم بينهنّ الصحافيّة، والمحاميّة والمديرة[٣].

وتقول تلميذة ثانية :[٤]

تسلمتنا روز غريّب في الصف التكميلي الاخير، ثم في الصفوف الثانويّة. ورغم ما كنّا عليه من ضعف في اللغة العربية، كانت قادرة ان تثير اهتمامنا بما تقرأ علينا من قصص، بما تفتح بيننا من مناقشات. كما انّها كانت تشجّعنا على الخلق، مثلا تطلب منا ان نكتب قصّة من تأليفنا وبعد فترة يأتي التصحيح والنقد. احيانا كانت ترافقنا الى الجامعة الاميركية لنشارك في انشاء الاغاني الفولكلورية.

في المجتمع والمرأة

في مقالات وقصص كثيرة، تناولت روز غريّب بالنقد عيوبا شائعة في مجتمعنا، كالكذب والغشّ وعشق المال والتسلّط، والاتكالية والتعلّق بتقاليد عفنة كالمفاخرة والاكثار من عبارات المديح والتفخيم نطلقها جزافا.

لكن ابحاثها الاجتماعية تركزت بوجه خاص حول المرأة، بدءا بتربيتها وهي طفلة، منتقدة الاهل والاقرباء الذين يشعرونها من خلال احاديثهم انها دون اخيها الصبيّ فهما وقدرة على العمل. ثم هم يحصرون العابها بالدمى وادوات الخياطة المنزلية، في حين تقدّم للصبي العاب متنوّعة كالمكعّبات الخشبيّة، والقطارات والسيارات والآلات الزراعية ممّا ينمّي طاقاته بينما تبقى الفتاة محصورة ضمن دائرة الشعور بالامومة والمسؤوليات المنزلية.

بين ١٩٤٥ و ١٩٥٨ راحت روز غريّب تنشر لها مقالات ودراسات غرضها توعية المرأة العربية بحقوقها، وذلك في مجلة *صوت المرأة*. كذلك ظهرت لها مقالات في الموضوع عينه في عدّة صحف منها : *الاديب*، *الانوار*، *الحكمة*، *النهار*.

بين ١٩٧٦ و ١٩٨٤ التحقت روز غريّب بمعهد الدراسات النسائية في العالم العربي (كلية بيروت الجامعية) حيث تسلّمت تحرير *الرائدة* مجلّة نسائية فصلية، اتاحت لها متابعة تطوّر الحركة النسائية الحديثة. في هذه المرحلة كتبت الكثير من الابحاث التي جمعت فيما بعد ضمن كتاب *اضواء على الحركة النسائية المعاصرة* الذي صدر ١٩٨٨. وهو مؤلف حافل بالدراسات العلميّة والاحصاءات، ويقع في قسمين، قسم اول حول المرأة والحركات النسائية في العالم، قسم ثان في التربية والاجتماع.

واذ تشير صاحبة « اضواء » الى انّ الحركة النسائية المعاصرة تزحف بسرعة غربا وشرقا، متخذة بعدا عالميا، تنهي كلامها بهذا التعليق :

انّ المرأة التي عانت الغبن طويلا، ينتظر ان تكون اكثر استعدادا من الرجل للتعاطف مع المظلوم. وكما خفق قلب « باحثة البادية » (ملك حفني ناصيف) منذ سبعين سنة عطفا على من يستحقّ الرحمة، ومن لا يستحقّ،[٥] نرجو ان تخفق قلوب نساء العصر عطفا

على الانسانية المعذّبة. وبما ان النساء يؤلّفن نصف سكان العالم، فانّ عملهنّ المشترك يستطيع ان يؤلّف طاقة هائلة يوظّفنها لا لتحرير المرأة فحسب، بل ايضا لتحرير الرجل الذي تستبدّ به عبوديات، ابرزها داء السيطرة، عبادة المال، داء العنف والحرب، ظواهر خطيرة تهدّد العالم بأسوأ العواقب.

في حقل الادب

الى جانب ما تقدّم من كلام حول دراسات وابحاث روز غريّب في حقل الاجتماع عموما والمرأة خصوصا، يبقى الادب والنقد الادبي اختصاصها الأول، ونتاجها فيه الارحب والاوفر عطاء.

تميز نتاجها الادبي بمعالجة موضوع النقد، فكثيرا ما قرأنا، ولا نزال نقرأ لها مقالات نقدية تنشر في الصحف، تقيّم هذا الاثر الادبي او ذاك، من قصة الى رواية الى نقد ادبيّ ... عرفت كتاباتها هذه بالواقعية والتجرّد، كما اظهرت ما تتمتع به الناقدة من حسّ مرهف، وذوق جمالي وثقافة واسعة.

اوّل مؤلفاتها في النقد اطروحتها التي صدرت عام ١٩٥٢ موّسعة في كتاب عنوانه *النقد الجمالي وأثره في النقد العربي* وتبعه كتاب ثان عنوانه *تمهيد في النقد الحديث* صدر عن دار المكشوف ١٩٧١.

في كلا الكتابين ابحاث مفصّلة حول : جمال الطبيعة وجمال الفنّ، عناصر الفنّ وأثره في النفس، المذاهب او الحركات الادبية التي توالى ظهورها، من المثالية عند قدماء اليونان الى الكلاسيكية فالرومنطيقية، فالرمزيّة، فالسوريالية ... مع بيان ما في هذه الحركات من تشابه وتعارض بفعل مسيرة التطوّر المستمر. كلّ ذلك توضحه الناقدة بالادلّة والامثلة التي تجعل هذه الموضوعات الشائكة عموما سائغة شيّقة.

مؤلفاتها الباقية في الادب والنقد معا :

- *جبران في آثاره الكتابية*، بيروت، دار المكشوف، ١٩٦٩
- *مي زيادة، الوهج والافول*، بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٧٨
- *نسمات واعاصير في الشعر النسائي المعاصر*، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

لا بدّ في الحديث عن اعمال روز غريّب الادبية من التوقّف عند كتبها الكثيرة المتنوعة في ادب الاطفال والاولاد، فهي إذ احترفت كتابة الادب والنقد للراشدين، اتخذت من الكتابة للصّغار والناشئين هواية تطلق بها فكرها وقلمها في عالم الخيال والابتكار.

حين شاركت روز غريّب في مطلع شبابها بين ١٩٣١ و ١٩٤٠ في مشاريع تطوعية لانعاش القرى، دخلت عالم الاولاد، عاشرتهم، استمعت الى احاديثهم، وقفت على حاجاتهم وميولهم، فانبثق من نشاطها معهم مجموعة اشعار واغانٍ وقصص والعاب.

ثمّ حين كلّفتها احدى المدارس الثانويّة في بيروت الاشراف على تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، واصلت عملها في كتابة القصص والحكايات لترغّب الاولاد في المطالعة، كما نظمت قصائد هي بمثابة محفوظات. وكان لها تجاوب الاولاد وسرورهم بما يقرأون ويحفظون حافزاً يحثها على السير قدماً في هذا الطريق. هكذا اصبحت مع الوقت خبيرة متخصّصة في ادب الاولاد، والدليل على ذلك انّ مدارس كثيرة اعتمدت عددا من قصصها كنماذج للمطالعة والدرس، كما انّ مقاطع مميزة من نتاجها هذا، في الشعر او النثر، ادخلت في سلاسل القراءة للمرحلة الابتدائية.

لروز غريّب قصائد عديدة، متدرّجة من اسهل الى اقل سهولة، ترتقي مع عمر الولد لكنّها مبعثرة هنا وهناك في كتب لم يعد طبعها، او في بعض كتب القراءة المدرسية، هي بحاجة الى جمع وتبويب لتصدر في كتاب او كتابين يجد فيهما معلمّو ومعلمات الصفوف الابتدائية سدّا لثغرة لا تزال قائمة في دروس المحفوظات.

وفيما يلي عناوين لبعض هذه القصائد :
مطر - حماري الوديع - مخدّتي - العمّال - القافلة - امي وابي - حكاية شهرزاد - على بساط الريح التي نورد نصّها :

نسافر بالحكايهْ — الى جميع البلاد
نطوف حتى النهايهْ — في كل سهل وواد
على بساط الريح — من غير ان نستريح
نطير فوق البحور — ندور جوّ القصور

مع خاتم المارد وقمقم الصيّاد
والمركب الشارد في رحلة السندباد
نزور ارض العجائب مفروشة بالذهب
نفضّل العيش فيه على جميع اللّعب.

لكنّ ادب روز غريّب للاولاد معظمه نثر، والكتاب الواحد يتضمّن عدة قصص،[٦] الى ذلك لها عدة كتب للناشئين، منه *المعني الكبير* رواية تاريخية، *ايامها السعيدة* مجموعة قصص، *رواق اللّبلاب* رواية ذات اساس بيوغرافي، كما انها الّفت في التعليم المدرسي *الانشاء الحديث في البلاغة والعروض* وهي كتب في تعليم اللّغة للمرحلة الثانويّة.

ادب روز غريّب الخاص بالاولاد غنيّ ومشوّق ممتع، غنيّ بمضمونه، اذ هو يستوحي كنوز الادب القديم من حكايات واساطير وامثال، كما يستوحي الفولكلور، واحداث التاريخ، ودروس الطبيعة، واحوال مجتمعنا المعاصر، وهو الى ذلك لا يغفل شؤون التربية الاجتماعية والوطنية.

خلاصة القول انّ روز غريّب بنهجها هذا، تعدّ رائدة في ادب الاولاد، بل هي مدرسة، ومن اراد التخصص في هذا الادب، لا بدّ له من ان يتتلمذ في هذه المدرسة.

شخصيّتها

شخصيّة الاديب موضوع يقتحمه اهل القلم بحذر شديد، بل يحاولون اجتنابه لاعتقادهم انّ لكل انسان ظاهرا وباطنا قد يعجزون عن التمييز بينهما. فوق هذا، جرت العادة في مجتمعنا اننا، حين نتحدّث عن احد اصدقائنا او معارفنا، شفهيا او كتابيا، نكيل له المدائح ونغفل العيوب، فيكون كلامنا في اكثر الاحيان ناقصا مفتقراً الى شيء من الواقعية.

ازاء هذه الصعوبة، طلبت من اديبتنا ان تسعفني وترسم بعض الخطوط لشخصيّتها. قالت في هذا الصدد :

اخلاق الانسان اوشخصيته حصيلة عاملين : البيئة والوراثة. هذا امر لا يختلف عليه اثنان. لكن في وسع كل انسان، بل من

واجبه، ان يكون عنصرا فعّالا في تكوين نفسه، فلا يصبح آلة جامدة في ايدي الوراثة والبيئة.

الوراثة قسم من قدرنا، لكن في وسعنا مقاومة القدر وتخفيف وطأته اذا اقتضت الضرورة ذلك، فالذي يولد اعمى يستطيع التغلّب على عاهته بارهاف حواسّه الاخرى واستغلال مواهبه الفكرية الى اقصى حدّ، كما فعل عميان مشاهير نظير بشّار والمعرّي وطه حسين وهلن كلر. كذلك في استطاعة كل منّا ان يقاوم البيئة اذا فرضت عليه احكاما او تقاليد جائرة مخالفة للحرّية والعدالة والتفكير العقلاني.

« اصنع نفسك » هذا المبدأ الذي نادى به سارتر، وجعله اساسا لفلسفته الوجوديّة هو الذي اعتنقته منذ بلوغي سنّ المراهقة، حين قرّرت الاستعداد للحياة بعلم وعمل يمكّناني من تحصيل معاشي وعدم الاتكال على اهل او زوج. وكما انكرت التقليد واعتمدت الاستقلال الفكري والاقتصادي الذي دعا اليه سارتر، كذلك انكرت الجمود كما انكره جبران في مذهبه التحرّري القائل انّ الحياة تطوّر ونمو مستمرّ، نمو في المعرفة والفضيلة والسيطرة على الذات والتحرر من العيوب والأهواء الجامحة التي تزّين لنا الشرّ والاذى.

من هذا التصريح نستشفّ مدى تعلّق روز بالاستقلال الذاتي، ومقدار معارضتها التقاليد المقيّدة لتطور الانسان ونموّه الفكري، كما انها تتّبع رياضة نفسية تمكّنها من المحافظة على الانضباط ومواصلة التطوّر والنمو.

ومن باب اعتماد الواقعية، تجدر الاشارة الى الحذر في طبع روز غريّب، هذا الحذر من الناس عموما تزايد مع الزمن، بسبب ما خلّفته الحرب من فساد خلقي، وبسبب خيبات عديدة من اناس منحتهم هذه المرأة ثقتها، في طليعتهم بعض الناشرين الذين استغلّوا نتاجها الادبي وغير عابئين بالعدل، فلم يوفّوها الا النذر القليل ممّا لها حقّ، وبعد طول مماطلة وتأجيل.

والظريف في شخصيّة هذه الانسانة الجادّة العميقة في تفكيرها ونقدها انها قادرة – بقوّة خيالها وبما تملك من بصيرة نافذة وظرف ساخر – قادرة على اختراق عالم الصغار، فتهبط، بل ترتفع الى مستواهم، تفرح قلوبهم، تسلّيهم وتثقّفهم باسلوب تحاكي نضارته نضارة وجوههم ونعومة انامِلهم.

اقف هنا لئلا ارمى بالغلوّ، واختم بقولي انّ كتب روز غريّب ومخطوطاتها التي تشمل ابحاثا جماليّة نقدية، وأشعاراً للاولاد، ومسرحيات واقاصيص، ومقالات في النقد الاجتماعي لم تدرس بعد درسا كافيا. وسنترك للزمن تقييم هذه المؤلفات، وتحديد ما تبرزه من تفكيرها ومن شخصيّتها.

---

١ – بعد نكبة الدامور عام ١٩٧٦، هجرت روز غريّب من منزلها في تلك البلدة، واقامت فترة في بيروت، انتقلت بعدها الى دار يسوع الملك (ذوق مصبح)

٢ – عن كتاب *اضواء على الحركة النسائية المعاصرة*، بيروت، معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، كلية بيروت الجامعية، ١٩٨٨، ص ٢٦٦ – ٢٧٢.

٣ – صاحبة هذه الشهادة هي اليوم طبيبة اسنان ناجحة.

٤ – صاحبة هذه الشهادة هي اليوم مديرة مدرسة ثانوية معروفة. شاركت روز غريّب في احياء مشروع الاغاني الفولكلورية الذي انشأه باحث اميركي يدعى *رولا فولي* في ١٩٤٥، ساعدته على اختيار عشر اغان فولكلورية لبنانية، عنيت هي بتحرير الكلمات واسهمت في وضع علامات الالحان، وتعليم طالبات المدارس الاغاني المختارة. وبفضل الجهود المشتركة التي بذلها اعضاء « لجنة الاغاني الفولكلورية »، اقيم مهرجان فولكلوري في *الاسمبلي هول* (قاعة الحفلات) في الجامعة الأميركية، اشتركت فيه طالبات عدد كبير من المدارس الثانويّة في بيروت ومدن اخرى في لبنان.

٥ – في هذا الكلام تلميح الى ما جاء في احدى رسائل باحثة البادية الى الاديبة مي زيادة. حيث تقول : « ليس لي حال اشتكيه، ولكن لي قلبا يكاد يذوب عطفا واشفاقا على من يستحق الرحمة ومن لا يستحقّها ... انّ قلبي يتصدّع من احوال هذا المجتمع الفاسد. »

٦ – من مؤلفاتها للاولاد نذكر : حكايات الحروف – حكايات جحا – الحمار في العرس – سميرة ورفاقها في الجبل – الهررة والاسماك – نور النهار – المنجم عصفور – النجمتان – ماذا تقول الحمائم ؟ – الهرّ الاخضر – عاشق الذهب – قيع الاخفاء – جنّية الينابيع – صيد الافيال – في ارض الجليد – اغاني الصفّار ...

*ROSE GHORAYEB, LA FEMME, LE PROFESSEUR ET L'ÉCRIVAIN**

Une pionnière, une pédagogue qui écrit pour les enfants ; une féministe qui se penche sur la féminité, Rose Ghorayeb...

*ROSE GORAYEB, THE WOMAN, THE TEACHER AND THE WRITER***

Nafisah RIFAI

Rose Gorayeb's youthful expression strikes her visitor at once although she is beyond 80 to-day. A self-made woman, a pioneer, and a feminist she has written children's books and many articles and books on education and on women.

* Le texte original en langue arabe p. ٢٥٧
**Nafisah Rifaï's original Arabic text p. ٢٥٧